وقوله تعالى إن أي ما أمسكهما من أحد من بعده جواب القسم الموطأ
له بلام القسم وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب القسم ولذلك
كان فعل الشرط ماضيا وقول البيضاوي تبعا للزمخشري والجملة
سدت مسد الجوابين فيه تجوز فالمراد سد مسدهما لأنه دال عليهما
لا أنها قائمة مقامهما إذ يلزم أن تكون معمولة وغير معمولة لأنها
باعتبار جواب القسم لا محل لها من الإعراب وباعتبار جواب الشرط
لها محل ومن في من أحد مزيدة لتأكيد الاستغراق والتي في من بعده
لابتداء الغاية والمعنى أحد سواه أو من بعد الزوال إنه كان
أي أزلا وأبدا حليما إذ أمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدا هدا
كما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر
الجبال هدا لأنه لا يستعجل إلا من يخاف الفوت فينتهز الفرصة
غفورا أي محاء لذنوب من رجع إليه واعترف بالاعتراف عليه فلا
يعاقبه ولا يباليه ولما بلغ كفار مكة أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم
قالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم وأقسموا
أي كفار مكة بالله أي الذي لا تقسيم بغيره جهد أيمانهم أي غاية
اجتهادهم فيها لئن جاءهم نذير أي رسول ليكونن أهدى من إحدى
الأمم أي اليهود والنصارى وغيرهم أي أي واحد منها لما رأوا من
تكذيب بعضها بعضا إذ قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت
النصارى ليست اليهود على شيء فلما جاءهم نذير أي على ما شرطوا
وزيادة وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي كانوا يشهدون أنه
خيرهم نفسا وأشرفهم نسبا وأكرمهم خلقا ما زادهم أي مجيئه شيئا
مما هم عليه من الأحوال إلا نفورا أي تباعدا عن الهدى لأنه كان
سببا في زيادتهم في الكفر كالإبل التي كانت نفرت من ربها فغفلة
عن

عن الطريق فدعاها فازدادت بسبب دعائه نفرة فصارت بحيث تبعد
أو يتيسر ردها فتبين أنه لا عهد لهم مع ادعائهم أنهم أوفى الناس
ولا صدق عندهم مع جزمهم بأنهم أصدق الخلق ثم علل نفورهم بقوله
تعالى استكبارا أي طلبا لإيجاد الكبر لأنفسهم في الأرض أي التي
شأنها السفول والتواضع والخمول فلم يكن نفورهم لأمر محمود ولا مباح
ويجوز أن يكون استكبارا بدلا من نفورا أو أن يكون حالا أي حال
كونهم مستكبرين قاله الأخفش وقوله تعالى ومكر السيء فيه
وجهان أظهرهما أنه عطف على استكبارا والثاني أنه عطف على
نفورا وهذا من إضافة الموصوف إلى صفته في الأصل إذ الأصل
والمكر السيء والبصريون يؤولونه على حذف موصوف أي العمل السيء
أي الذي من شأنه أن يسوء صاحبه وغيره وهو إرادتهم الإهانة
أمر النبي صلى الله عليه وسلم وإطفاء نور الله عز وجل وقال الكلبي
اجتماعهم على الشرك وقتل النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة
في الوصل بهمزة ساكنة أي بنية الوقف إشارة إلى تدقيقهم قف
المكر وإتقانه وإخفائه جهدهم والباقون بهمزة مكسورة وإذا وقف
حمزة أبدل الهمزة ياء وأدغم الياء الأولى في الثانية ووقف الباقون
بهمزة ساكنة ولا أي والحال أنه لا يحيق أي يحيط إحاطة لازمة
ضارة المكر السيء أي الذي هو عريق في السوء إلا بأهله أي الذي
أذى عن أهله لكنه لا يحيط بذلك الغير فإن قيل كثيرا ما نرى الماكر
يمكر ويفيده المكر ويغلب الخصم بالمكر والآية تدل على عدم
ذلك أجيب بأجوبة أحدها أن المكر في الآية هو المكر الذي مكروه
مع النبي صلى الله عليه وسلم من العزم على القتل والإخراج ولم
يحق إلا بهم حيث قتلوا يوم بدر وغيره ثانيها أنه عام وهو الأمر

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1